

ميشال فرعون... حريري مده الحياة

بحسب مصدر مقرب من الرئيس سعد الحريري، وصف فرعون بالتاجر لا يأتي من باب ذمه. المقصد هو الربط بين دوره كرجل أعمال يبحث عن عقد الصفقات الناجحة، وانعكاس ذلك على رؤيته للعمل السياسي. لا ينفصل ذلك عن تاريخ عائلته التي أسست أول مصرف خاص في لبنان «فرعون وشيخا» (اشتراه أخيراً بنك بيبلس) وترأس مرفأ بيروت وميدان سباق الخيل. وهو كان مساهماً في مصرف العائلة وترأس العديد من مجالس إدارات الشركات.

نسج علاقات أكثر من جيدة مع «الأوصياء» السوريين على لبنان. البعض يقول إن بوابة عبوره إلى سوريا كان «رجل الأعمال» عهد بارودي. والبعض الآخر، ممن عايش تلك المرحلة، يرى أن فرعون دخل سوريا «خلف رفيق الحريري ومن خلال الشناني عبد الحليم خدام وحكمت الشهابي». كان صديقاً لرئيس شعبة الاستخبارات السورية في لبنان (1982 - 2001) الراحل غازي كنعان. وتوطدت علاقتهما لأن الرجل الأمني «لم يكن يستسيغ آل سكاف بسبب تحريض بعض الفعاليات الزحلية عليهم، فأراد تقوية شخصية كاثوليكية في وجههم». تعيين رستم غزالة خلفاً لكنعان «وانفتاحه على آل سكاف»، لم يعن «التعرض لوجود فرعون السياسي الذي لم يدع يوماً أنه ثقل كاثوليكي خارج بيروت، إلا بعد اغتيال الحريري وبروز 14 آذار».

يصف أحد سياسيي الأشرفية فرعون بأنه «مثال الرجل الأستقرائي الذي يملك المال، ولكنه يوظف القليل من ماله في الشأن العام». كان يُعاونه مادياً، بصورة غير مباشرة، رجل الأعمال نبيل صحنواي وابنه أنطون (رئيس مجلس إدارة مصرف «سوسيتيه جنرال في لبنان»). ففرعون كان يرى «أن الذين يخدمهم آل صحنواي سيصبون في رصيده في النهاية». إلى أن فرقت الانتخابات الاختيارية الأخيرة ما جمعه حلف 14 آذار «بعد أن تبين لأنطون صحنواي أن فرعون الذي بدأ ينفذ على التيار الوطني الحر لا يستشير في اختيار المرشحين». وقد تمكن صحنواي من «استمالة مختارين من أصل ستة رشحهم فرعون». يذكر السياسي ذلك، مع علمه أن صحنواي قادر على «إحراج الوزير وليس الفوز عليه، لأن المعركة مرتبطة أيضاً بالتحالفات» التي لا يبدو أنها ستاتي على حساب تمثيل فرعون النيابي. فالعضو السابق في اللقاء التشاوري (وهو غير اللقاء المذكور أعلاه) الذي «قاده» الرئيس السابق ميشال سليمان عرف كيف يظهر للناس أنه نائب مستقل عن الأحزاب، بالتنسيق مع الحريري، «إلى أن أصبح رمزاً للقوات في الأشرفية ويعطي مشروعياً لانتخاباتها الانتخابية». يهيم ثنائي التيار والقوات أن يبرزاً أسماء «مستقلين» يؤيدون تحالفهما، دحضاً للاتهامات بأنهما يعملان على إقصاء كل من لا يدور في فلكهما.

تضحك مصادر رفيعة المستوى في تيار المستقبل حين تتحدث عن فرعون: «زار معراب، وشكر ججع على توزيره. لكن حين تقول القوات إن كتلتها تضم 3 وزراء، فهذا يعني أن فرعون من حصتنا». ففي البدء كانت علاقة فرعون مع رفيق الحريري، ليتحول بعدها إلى حريري صديق للسوريين، ثم حريري ضمن تحالف 14 آذار، وحريري مؤيد للتوافق العوني - القواتي، وحريري - قواي في الحكومة الجديدة. يبدو التحالف مع آل الحريري الثابت الوحيد في حياة وزير الدولة، والصفقة الأربح في مسيرته السياسية.

أقرب إلى مرجعية بيروتية منها إلى زعامة. يُنافسهم كاثوليكياً آل سكاف، زعماء البقاع في حينه، فأراد آل فرعون دائماً إثبات زعامتهم وامدادهم خارج بيروت. مثلاً على ذلك، نقل هنري فرعون ترشيحه النيابي عام 1947 إلى زحلة، ما اضطر جوزف سكاف إلى الترشح في الجنوب لتجنب المواجهة. غالباً ما كانت زعامة عائلة منهما مرتبطة بالأخرى. تتقدم الأولى حين تتراجع الثانية، والعكس. هذه العلاقة التنافسية، كانت جزءاً من التركيبة التي حصل عليها وزير السياحة السابق بعد دخوله إلى السلطة. فهو أيضاً «عينه» على التوسع بقاعاً والاستفراد بزعامة الطائفة. هناك العديد من الفروقات بين العائلتين «الكاثوليكيتين»، أبرزها أن زعامة سكاف جماهيرية، على العكس من فرعون الذي ليس لديه علاقة مباشرة مع الناس. النظرة إلى الأحزاب السياسية ميزت إحداهما عن الأخرى أيضاً. فرعون يتعامل مع السلطة وفق منطق العرض والطلب، فيرضى بأن

نسج علاقات مع الأوصياء السوريين على لبنان، وكان صديقاً لغازي كنعان

يستفيق في الحكومة الحالية وزير دولة للتخطيط (أعلن أنه لا يعرف ما تعنيه هذه المهمة) بعدما نام وزيراً للسياحة. أما آل سكاف، فلا يملون من ترداد شعارات على نسق «سيادة قرار زحلة»، رافضين أن تُحدد لهم الأحزاب حصتهم ووزنهم السياسي. نائب بيروت الأولى «ليس سياسياً، بل تاجر يتصرف وفقاً لمصلحته»،

ميشال فرعون، في الشكل، هو نائب وزير. اما في المضمون، فهو رجل أعمال يبحث عن الصفقة الأنجح. من هذا المبدأ، تنقل من صف اللقاء التشاوري والصدافة مع رجال الاستخبارات السورية في لبنان، إلى صف «ثورة الأرز» والحلف مع القوات اللبنانية، مع الحفاظ على الحلف مع آل الحريري. حماة مقعده الكاثوليكي في بيروت الأولى. فرعون هو مثالاً للسياسي اللبناني الذي تمكنه «غريزة البقاء» من الاستمرار في الحكم بصرف النظر عن الحاكم. فتراه الحزب مقعده له في العهد الجديد

يقول عضو في أمانتها العامة، علماً بأن فرعون كان في الجبهة المقابلة. فقد شارك في تشرين الأول 2002 في الغداء التكريمي الذي أقامه الوزير غطاس خوري على شرف اللقاء التشاوري الذي أنشئ برعاية سوريا في وجه لقاء قرنة شهوان. وهو لم يكن يوماً جزءاً من لقاء البريستول. لكنه اليوم الوحيد من «مستقلي 14 آذار» الذي أخذ يُصقّق لخيار تبني ترشيح العماد ميشال عون إلى رئاسة الجمهورية من مقر حزب القوات اللبنانية. سبق العونيين إلى رفع صور رئيس الجمهورية للمباركة بانتخابه، فيما لا يزال صدق كلماته يتردد في الأشرفية، محذراً من انتخاب «حليف حزب الله» في النيابة. وهو كان منذ أيام في معراب، يشكر رئيس القوات سمر ججع على دعمه لتسليم حقيبة وزارية من جديد. ميشال فرعون هو نموذج لهذه الطبقة السياسية التي تُحافظ على وجودها مهما تبدلت العهود وأياً تكن طبيعتها.

بالمعنى اللبناني التقليدي، ليس فرعون دخبلاً على عالم السياسة. والده بيار وعمه هنري شغلا مواقع نيابية ووزارية منذ عام 1929. العائلة التي لعبت دوراً أساسياً في بيروت، خاصة في الأربعينيات والخمسينيات، هي

ليا القرزي

في عام 1996، بحث الرئيس الراحل رفيق الحريري في كتاب العائلات البيروتية التقليدية عن شخصية كاثوليكية تُرشحها إلى الانتخابات النيابية، فوجد أمامه ميشال فرعون. عدم تقديم النائب الراحل نصري المعلوف ترشيحه من جديد، ورغبة الحريري في «خلق» زعامة بيروتية في وجه زعامة آل سكاف الزحلاوية، حصرا الخيارات بوريث إحدى أقدم العائلات التي وصلت إلى بيروت منذ العهد العثماني. «رأس المال خضع في وقت كان المجتمع الآتي منه يرفض الخضوع»، كما يقول أحد السياسيين البيروتيين المناوئين لفرعون. صحيح أنه كانت قد مرّت 4 سنوات على «المقاطعة المسيحية» لانتخابات الـ 1992، لكن المواجهة مع سلطة الوصاية السورية كانت لا تزال في أوجها. الحريري أبرز حلفائها، وفرعون أصبح صديقاً لها. لا يضع ابن الأشرفية أبداً. فابنما يكمن موقع القوة يكمن من أجل السلطة، التحق بخط الحريري، مع كل ما كان يُمثله في التسعينيات من تمام مع الدور السوري. في الـ 2005، «ركب موجة 14 آذار الشعبية»، كما

فرعون هو نموذج للطبقة السياسية التي تُحافظ على وجودها مهما تبدلت العهود (هيلم الموسوي)



إقلاق راحة النائب خالد ضاهر في عكار كان سيهددها أيضاً، وحفظ ماء وجه الرئيس نجيب ميقاتي أو غيره يهددها أيضاً وأيضاً. فهي هشة وكرتونية ويمكن من أسقط المشروع الكبير من القصر إلى حلب أن يسقطها بسهولة هائلة من دون خشية من البديل. وهكذا يمكن القول إن الحريري يقدم تنازلات لكنه يحقق مكاسب، ويكفيه في ظل الإنكفاء السعودي وأوضاع التكفيريين في المنطقة أن يكون رئيساً للحكومة وزعيماً للطائفة السنية. علماً أن الحديث عن تونق حريري إلى فتح مغاور السلطة فيه الكثير من المبالغة. ففي وزارة «العمل»، لا شيء «يحرز»، فيما لا شيء البتة في «الثقافة». أما «الاتصالات» فصفقاتها المحتملة تخضع لتفاسم عادل بين الجميع دون استثناء، و«الدخالية» استحدثت خلال العامين الماضيين كل ما يمكن استحدثته من مشاريع. أما النفط والدفاع فهما أهم ما في السلطة اليوم، ولا ينك من يعرف وزيريهما باستحالة فتحهما أية شبائيك جانبية للصفقات الحزبية. وعليه ثمة الكثير من الكذب في المجلس النيابي هذين اليومين، ومبالغة في تودد الخصوم السابقين بعضهم للبعض الآخر، ومشهد يوحي بعودة الحكم إلى ما كان عليه في تسعينيات القرن الماضي. لكن لا شيء في المقابل يدفع إلى القول إن الحريري سيكون المستفيد الأول من هذا كله. فهو حتى الآن الخاسر الأول الذي يخفي في ظله صفاً طويلاً من الخاسرين تتقدمهم القوات اللبنانية. يمكن الحريري أن يواصل الظاهر بأنه الرئيس القوي للحكومة، ويمكن المجلس النيابي أن يُسمعه ما يريد. ولا شك في أن غياب الحماسة العونية لفرض الأيادي السود يُحبط قليلاً. إلا أن مشاهدة رئيس الحزب القومي الوزير علي قانصو وهذا الكم من الوزراء العونيين ووزراء المردة وحزب الله يحيطون بالحريري متبسمين، يؤكد أن ما أخذ بدهاء دبلوماسي هادئ لا يُسترد إلا بدهاء دبلوماسي أهدأ. ولعل الرئيس فؤاد السنيورة هو الوحيد المتصالح مع نفسه إلى درجة يرفض فيها المشاركة في هذا الإذلال المتماذي لفريقة.

تكتل التعبير والإصلاح عن الاتفاق، وتحدث ثلاثة منهم، اعترض النائب عاصم عراجي. وعليه، جرى التوافق على حق أي نائب بطلب الكلام، وإن كان قد شطب اسمه عن لائحة طالبي الكلام. وكان الرئيس نبيه بري قد بدأ بتعيين نواب بدلاً من النواب الذين أصبحوا وزراء، وأشار إلى أن «نسخة البيان الموجودة بين أيدي النواب فيها بعض الأخطاء المطبعية، أو بعض العبارات التي سقطت سهواً، مطالباً باستبدالها»، وهي استخدام عبارة «المنطقة الاقتصادية الخاصة» بدلاً من المناطق المتنازع عليها مع العدو الإسرائيلي.»